# إشكال تلقي مصطلح البنيوية التكوينية في النقد العربي المعاصر (جمال شحيد، حميد لحمداني، وجابر عصفور) نماذج

The problem of formational structuralism reception of terms in contemporaryArab criticism:
(Jamal Shohid, Hamid Lahmidani, and Jaber Asfour) are examples

**الباحث: صلاح الدين أشرقي**
**الأستاذ المشرف د: علي صدِّيقي**
**جامعة محمد الأوّل – الناظور (المغرب)**
Saho.Fede@gmail.com

**تاريخ الإرسال: 2020/08/22** **تاريخ القبول: 2020/09/08**

**ملخص:**

لقد سعينا من خلال هذه الدراسة إلى تحليل كيفية تلقي جمال شحيد، وحميد لحمداني، وجابر عصفور مصطلح البنيوية التكوينية، وذلك بالتركيز على فهم كلّ ناقد ومدى التزامه بالدلالة الأصلية، حيث وجدنا اختلافا واضحا بين المصطلحات العربية عند هؤلاء النقاد، كما وجدنا أيضا تناقضا بين دلالة المصطلح العربي ودلالة المصطلح الفرنسي ومن هنا فإنّ دراستنا لهذه التجارب النقدية الثلاثة تأتي لكي تبين أسباب عدم التلقي الدقيق للمصطلح في بيئته الغربية وما ينتج عنه من إشكالات، مثل عدم التطابق بين الأصل والنسخة، وكذلك تعدد المصطلحات العربية الدالة على البنيوية التكوينية (Structuralisme Gènètique).

**الكلمات المفتاحية:**

البنيوية التكوينية، التلقي، تعدد المصطلحات، المعنى الأصلي، اختلاف المعنى.

***Abstract***:

We have tried through this study to analyze how did Jamal Shohid, Hamid Lahmidani, and Jaber Asfour the term of formational structuralism be it in terms of their understanding and commitment to the founding evidences; given this, we have found a clear difference between the meaning of the Arabic and the French terminology. Our study to the mentioned critical experiences is to demonstrate how the absence of accurate terminology assimilation and its results such as its origins and copy as well as the existence of Arabic terminology that denote formational structuralism.

***Keywords*:** Formational structuralism, Receiving, Multiplicity terms, Original meaning, Meaning difference.

**مقدمة:**

تُعالج هذه الدراسة إشكالا مهما في النقد العربي المعاصر، وهو إشكال تلقي المصطلحات الغربية ممثلة في مصطلح البنيوية التكوينية عند كلٍّ من: (جمال شحيد، وحميد لحمداني، وجابر عصفور)، وقد اخترنا هؤلاء النقاد الثلاثة لعاملين اثنين: أولا: أنهم من النقاد العرب الأوائل الذين اهتموا بمصطلح لوسيان غولدمان، وثانيا: اختلافهم حول المصطلح العربي المقابل لـ (Structuralisme Gènètique)، لذا فقد ركزنا على هذا الاختلاف الاصطلاحي الذي يؤدي إلى اختلاف في المعنى أيضا، كما ربطنا التعدد الاصطلاحي بإشكال التلقي الذي نَعتبره سببا مباشرا في عدم الاستقرار على مصطلح عربي موحد يؤدي نفس المعنى الأصلي، فكل ناقد فَهِم المصطلح الفرنسي فهما خاصا به ومنهم من حاول أن يتجاوزه مُقترحا مصطلحا آخر من خلال التركيب بين نظريات مختلفة، مثل "حميد لحمداني" كما سنرى لاحقا.

تندرج هذه الدراسة ضمن "نقد النقد"، إذ حاولنا أولا: أن نُحلل ونقوِّم تلقي كل ناقد على حدة، وذلك بالتركيز على مدى فهمه واستيعابه للمصطلح الأصلي، وثانيا: محاولة اقتراح طرائق بديلة لتلقي مصطلح البنيوية التكوينية والتعامل معه، على اعتبار أنّ نقد النقد

هو نص ثالث، وهذا ما أكده "عبد الرحمن التمارة" في قوله: "يتجلى نقد النقد نوعا خاصا من النقد، وتظهر صورته وماهيته شكلا من الاشتغال في مجال معرفي يتجاوز خطاب النقد في مستواه الأول. فالنص الثالث (نص نقد النقد) مقرون تحققه بتجاوز النص الثاني"[1] والمقصود بالنص الثاني النقد الأدبي.

تهتم هذه الدراسة بإشكال التلقي بشكل أساسي، غير أنّ هذا الإشكال تتفرع عنه إشكالات وأسئلة أخرى، مثل: كيف فَهِم النقاد الثلاثة مصطلح Structuralisme Gènètique؟ وهل استقروا على مصطلح عربي موحد أم إنهم وظفوا مصطلحات متعددة؟ ألا يؤدي التعدد الاصطلاحي إلى تحريف المعنى الأصلي والخروج عنه؟ أليس إشكال التلقي هو السبب المباشر في خلق فوضى اصطلاحية وفوضى في المعنى أيضا؟ ألا تطرح المصطلحات العربية التي اختارها هؤلاء النقاد اختلافا وتناقضا في المعنى بالمقارنة مع الأصل؟

لقد تطرقت مجموعة من الدراسات لحضور مصطلح البنيوية التكوينية في النقد العربي المعاصر، وقد اهتمت، بشكل خاص، بقضية الترجمة العربية للمصطلح الفرنسي عند غولدمان، مثلما نجد لدى "يوسف وغليسي" في كتابه: "إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد"، وبالمقابل فإنّ هذه الدراسات لم تُركز كثيرا على إشكال تلقي النقاد العرب للمصطلح الأصلي، على الرغم من أهمية هذا الإشكال، حيث تنتج عنه إشكالات أخرى، وعليه فقد سعينا إلى تجاوز هذا الأمر، من خلال مناقشة قضية التلقي وربطها بالتعدد الاصطلاحي الذي لمسناه في التجارب التي درسناها.

## 1- جمال شحيد ومصطلح البنيوية التكوينية:

يُعد الناقد جمال شُحيد من أوائل النقاد العرب الذين اهتموا بمنهج لوسيان غولدمان ففي عام 1980م كتب مقالا بعنوان: "في البنيوية التكوينية"[2] ويُعتبر من أولى كتاباته التي وظف فيها مصطلح البنيوية التكوينية، غير أنّه بعد سنتين عَدَل عنه ووظف مصطلحا آخر مختلف وهو "البنيوية التركيبية"[3]، لكن المتصفح لهذا الكتاب يرى أنّ شُحيد كان يوظف البنيوية التكوينية كمقابل لمصطلح غولدمان، مما يُعزز ما ذهب إليه "كمال أبو ديب" الذي

قال إن الأصح هو في البنيوية التكوينية، حيث حدث خطأ في طباعة الكتاب فبدل توظيف البنيوية التكوينية تم استعمال البنيوية التركيبية[4].

يطرح تلقي جمال شحيد مصطلح Structuralisme Gènètique مجموعة من الأسئلة أبرزها، كيف تلقى الناقد هذا المصطلح؟ وهل استقر على مصطلح عربي موحد أم إنه وظف مصطلحات مختلفة؟ وهل حافظ على الدلالة الأصلية أم حَرَّفها؟.

*** مطارحات في تلقي جمال شحيد مصطلح "البنيوية التكوينية":**

لقد قدم شحيد عرضا نظريا لمصطلحي (البنية)، و(التكوين)، حيث يرى أنّ البنية الدلالية "هي المعنى الداخلي لهذه البنية الذي ينم عن وعي جماعي معين"[5]، إنّ التعريف الذي قدمه الناقد للبنية يمس جانبا منها فقط وهو ما يتعلق بوحدة العناصر الداخلية، أو وحدة الجزء بالكل في علاقة بنيوية داخلية، وعليه فإنّ الإشكال المطروح هو اتخاذ البنية صفة السكون كما هو الشأن في البنيوية الشكلانية، وصحيح أنّ غولدمان حافظ على المعنى الداخلي إلا أنّ هذا المعنى يختلف، إذ "يفترض مفهوم البنية الدلالية، الذي أدخله غولدمان، لا فقط وحدة الأجزاء ضمن كلية والعلاقة الداخلية بين العناصر، بل يفترض في نفس الوقت الانتقال من رؤية سكونية إلى رؤية دينامية، أي وحدة النشأة مع الوظيفة"[6].

إنّ البنية الدالة تنتج عن البنية الاجتماعية الأشمل والأوسع، وعليه فإنها بنية دينامية متحركة ومتغيرة باستمرار، فهي تجمع بين الوحدة والتنوع في آن، حيث تتحد عناصر البنية لتُشكل كلاّ بنيويا منسجما لكنها لا تقف عند هذا الترابط، بل تتعداه، إذ تنتقل إلى البنى الاجتماعية والتاريخية التي تقع في الخارج، هذا بالإضافة إلى أنّ البنية عند غولدمان تنتج عن الذات الفوق فردية أو الجماعية مما يُقلّص من استقلاليتها وسكونيتها، فالبنية "عن طريق ارتباطها بسلوك الناس تُعتبر الآن تطورا لبراكسيس سابق وسيتغير حتما ليصير براكسيسا لاحقا، ويمكن أن نقول باختصار إنّ البنية تخضع لسيرورة تحولية ويجب أن نتوقف عن اعتبارها بنية ثابتة مستقلة عن السلوك الإنساني"[7]، وصحيح أنّ الناقد جمال شحيد عرض بعض تصورات غولدمان حول دينامية البنية وحركيتها[8] إلا أنّه ظلّ متشبثا

بكون البنية الدالة ذات صلة بداخل النص وتلاحم عناصره الداخلية، ويظهر هذا الطرح في حديثه عن علاقة البنية الدالة بالنص، إذ يرى أنّ الهدف من دراسة البنية الدالة هو "اكتشاف الوحدة الداخلية للنص وتَشَكل مجمل العلاقات الأساسية داخل النص (ومن بينها العلاقة القائمة بين الشكل والمضمون) بحيث يستحيل علينا أن نفهم زاوية من زواياه دون إحالتها إلى مجمل العلاقات هذه. فالجزء مرتبط بالكل، ويستحيل فهمه على حدة دون إحالته إلى مجمل النص الذي يجمع كافة الإجابات الاجتماعية والتاريخية التي تُشكل رؤية معينة للعالم تبرز في تضاعيف النص"[9]، إنّ السؤال الذي نطرحه هنا هو، هل الهدف من دراسة البنية الدالة هو اكتشاف الوحدة الداخلية أم إنّ الأمر يتعلق بدراسة خارجية لبنية النص؟ فالمتأمل لكتب غولدمان التي طبَّق فيها تصوره البنيوي التكويني لا يجد تعريفا محددا للبنية ولا طريقة معينة لدراستها، حيث اكتفى ببعض الاقتراحات النظرية المجردة، مثل: (التجانس، والانسجام، والوحدة..)[10] وقد اعتبرها وسائل لتحليل البنية الدالة، فغولدمان لم يكن مهتما كثيرا بالبنية الداخلية للنص، بل إن غايته الأولى هي تبيان تلاحم رؤية العالم عند مجموعة اجتماعية معينة من خلال بنية النص، لذا فإنّ دراسة تلاحم وترابط عناصر البنية الدالة هي في الحقيقة دراسة لتماسك وانسجام رؤية العالم عند فئة اجتماعية، وجمال شحيد اعتقد أنّ البنية الدالة ترتبط بالنص وبعناصره الداخلية، بمعنى أنها أعادت الاعتبار للنص الذي كان مُغيّبا مع نظرية الانعكاس، غير أنّ الأمر ليس كذلك، حيث إنّ مصطلح البنية ظلّ غامضا عند غولدمان من حيث الجانبُ النظري، وبشكل خاص من الناحية التطبيقية، وعليه يمكن القول إنّ تلقي شُحيد لمصطلح البنية كان تلقيا مطلقا، إذ نظر إلى البنية نظرة كلية باعتبارها لا تطرح أي إشكالات، في حين أنه كان يجب عليه أن يناقش هذا المصطلح وينتقده على اعتبار أنّه مصطلح "نسبي" قابل للنقاش والنقد أيضا.

ونأتي الآن إلى المصطلح الثاني وهو "التكوين" الذي تنبني عليه مختلف تصورات غولدمان، والملاحَظ في تلقي جمال شحيد أنه لم يستقر على مصطلح التكوين فحسب بل إنه مزج بين التكوين و"التوليد" واعتبرهما مترادفان من حيث الدلالةُ، ويظهر هذا في

قوله: "لابد قبل كلّ شيء من التنويه بأنّ التكوين أو التوليد هنا لا يتضمن أي بعد زمني يُعيد الشيء المدروس إلى تاريخ ولادته ونشأته. فالبعد الزمني في هذا الشأن ثانوي جدا"[11]، فالناقد يجعل من التكوين والتوليد شيئا واحدا وهذا يحتاج إلى نقاش، حيث إذا عدنا إلى غولدمان نجد أنّ مصطلح Gènètique يتخذ معنى خاصا في نظريته، حيث يُقصد به دلالة البنية في حركيتها وتغيرها وتفاعلها مع البنيات الخارجية، مثل: (البنية الاجتماعية)، وقد أكد هذا الطرح جمال شحيد أيضا عندما قال: "فصفة تكوينية أو توليدية هنا تعني الدلالية، دون الرجوع إلى النشأة بالضرورة"[12]، لكن ألا يطرح هذا المزج بين التكوين والتوليد إشكال اختلاف المعنى؟ وكذلك ألم يسقط شحيد في التناقض عندما رأى أن التكوين لا يعني النشأة لكنه جعل التوليد مرادفا له؟ إنّ اعتبار التوليد مرادفا للتكوين يطرح قضية تعدد المعنى واختلافه، فالتوليد من حيث الدلالة يعني الولادة والنشأة في حين أنّ غولدمان لم يقصد هذا المعنى كما وضحنا سابقا، لذا فإن جمال شحيد سقط في التناقض عندما وظف مصطلحين مختلفين من حيث المعنى، وهذا يبين لنا أنه لم يأخذ بنظر الاعتبار المعنى الخاص والأصلي الذي قصده غولدمان، فالأمر لا يتعلق بتوظيف عشوائي للمصطلح العربي، بل يجب أن يكون مطابقا في المعنى للمصطلح الفرنسي، لذا يمكن القول إنّ هذا التعدد الاصطلاحي عند شحيد يؤدي إلى اختلاف وفوضى في المعنى.

يرى جمال شحيد أن التكوين يهدف "إلى إقامة توازن بين العالم الخارجي (الذي يحيط بالإنسان ويرسل إليه الحروب والفتوحات والنزوحات والاحتلال مثلا) والعالم الداخلي (الذي ينبعث من الإنسان والمجموعة البشرية بغية التفاعل أو الرضوخ أو الرفض أو...)"[13] لكن ألا ينحاز التكوين إلى العالم الخارجي أكثر من العالم الداخلي؟ فالتوازن الذي يتحدث عنه شحيد هو توازن ظاهري فقط أما في العمق فالتكوين يرتبط بالعالم الخارجي أكثر من ارتباطه بالجوانب البنيوية، ويظهر هذا الطرح في ربط غولدمان بين البنيتين: الداخلية (المرتبطة بالنص)، والخارجية (ذات العلاقة بالمجتمع والتاريخ...)، حيث يتبين لنا أنّ البنى الخارجية هي الأشمل وهي التي تنبثق منها بنية النص، وبذلك فإنّ الاهتمام

بالداخل هو ثانوي بالمقارنة مع العالم الخارجي، وقد أوضح "بون باسكادي" موقف "رولان بارت" من العلاقة بين العالم الداخلي والخارجي، أو بين البنية النصية والبنية الاجتماعية حيث يعترف بارت بفضل غولدمان في الربط بنوع من الحدس بين شكل (التراجيديا) ومضمون (رؤية طبقة سياسية) إلا أنّه ينتهي إلى اتهام غولدمان بتبني حتمية متنكرة[14] بمعنى أن غولدمان انحاز إلى التكوين على حساب البنية، لذا فإنّ التكوين لا يهدف إلى خلق توازن بين العالمين: (الداخلي، والخارجي)، بل بالعكس فهو الذي يُوضح بأنّ العالم الخارجي هو الأساس وأنّ العالم الداخلي ثانوي فقط، وهذا ما لم ينتبه له شحيد، حيث كان يجب عليه أن يناقش هذا التصور ويبين تلك النزعة الاجتماعية المبتذلة[15] التي كرّسها غولدمان من خلال مصطلح Gènètique أو التكوين، حيث إن التلقي والفهم الدقيق للمصطلح في أصله هو خطوة ضرورية لإيجاد مصطلح عربي دقيق يؤدي نفس المعنى الأصلي المقصود.

**2- تجربة حميد لحمداني مع مصطلح "البنيوية التكوينية":**

يُعتبر لحمداني من بين النقاد الذين تمثَّلوا مصطلح البنيوية التكوينية، وللإشارة فإنّ هذا المصطلح هو الأكثر تداولا بين النقاد العرب، وهذا ما أكده "يوسف وغليسي" عندما رأى أنّ البنيوية التكوينية "تبدو أكثر المصطلحات شهرة وتداولا، وهي لا تحتاج إلى حصر مستعمليها (وما أكثرهم) أو مَواطن استعمالها، يكفي أن نذكر (دون توثيق) من الأسماء النقدية التي تبنتها كلا من: محمد برادة ومحمد بنيس وحميد لحمداني وعبد المالك مرتاض وشكري عزيز الماضي وسامي سويدان ومحمد سويرتي ومحمد ساري وكمال أبو ديب..."[16] غير أنّ ما يهمنا هنا هو لحمداني في كيفية تعامله مع هذا المصطلح.

**1.2/ التعدد الاصطلاحي وإشكال تلقي مصطلح "البنيوية التكوينية":**

إنّ المتأمل لتجربة لحمداني النقدية يرى أنّه لم يستقر على مصطلح عربي محدد، فقد وظّف البنيوية التكوينية في كتابه: "الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي" واستقر على هذا المصطلح من بداية الكتاب إلى نهايته، حيث يقول لحمداني: "وهكذا صاغ غولدمان

منهجه البنيوي التكويني Structuralisme Gènètique"[17]، وكذلك في كتاب: "النقد الروائي والإيديولوجيا"[18]، وكتاب: "الفكر النقدي الأدبي المعاصر"[19].

أما في كتاب: "من أجل تحليل سوسيو بنائي للرواية"، الذي جاء بعد كتاب الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي من حيث التأليف غير أنه صدر قبله[20]، فقد وظف مصطلح "سوسيو بنائي"، وقد سوَّغ لحمداني اختياره لهذا المصطلح، حيث كان يريد الابتعاد قدر الإمكان عن توظيف مصطلح البنيوية التكوينية، نظرا لأنّ مفهوم البنية ليس له أي قيمة فيها، كما أنّ لوسيان غولدمان، في نظر لحمداني، لم يُقدم لنا أيّ رصيد معرفي يشرح لنا مفهوم البنية وكيف يمكن دراسته من الداخل[21]، حيث تشكل لديه وعي بضرورة تجاوز مصطلح غولدمان الذي لم يُقدم وسائل إجرائية لتحليل بنية النصوص، وهذا ما اكتشفه لحمداني في كتاب: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، لذلك فقد سعى إلى تخطي هذا الإشكال من خلال اقتراح مصطلح جديد للبنية، حيث "طعَّم" لحمداني بنيوية غولدمان ببنيوية الشكلانيين[22] وبنيوية "ميخائيل باختين"[23] أيضا، وتجدر الإشارة إلى أنّ النقاد الغربيين لم يستخدموا مصطلح سوسيو بنائي في مؤلفاتهم، فهو من اجتهاد لحمداني الذي اقترح مصطلحا جديدا للبنية هو حاصل التركيب بين البنيوية الشكلانية وبنيوية باختين وسنحاول أن نناقشه من أجل أن نرى هل يتطابق مع المعنى الأصلي للبنية عند غولدمان أم إنه يختلف عنه؟

### 2.2/ التعدد الاصطلاحي وإشكال المعنى الأصلي:

في البداية يجب التأكيد على أنّ الاجتهاد في ابتكار مصطلحات جديدة من داخل المصطلحات الغربية هو سلوك نقدي مشروع، غير أنّه يجب أن يأخذ بنظر الاعتبار "المعنى الأصلي" حتى لا يُحرفه، وهذا لا يتأتى إلا بتلقٍ دقيق للمصطلحات في أصلها الغربي وبالعودة إلى لحمداني نرى أنّه وظّف مصطلحين مختلفين للدلالة على Structuralisme Gènètique وهما: (البنيوية التكوينية، وسوسيو بنائي)، ونرى أنّ سبب هذا التعدد الاصطلاحي هو إشكال التلقي، وهذا ما يتبين لنا من خلال مصطلح سوسيو بنائي الذي

يتكون من كلمتين: سوسيو ويُقصد بها السوسيولوجيا، وبنائي وتعني البنيوية، ونحن لن نناقش السوسيولوجيا، بل سنركز على مصطلح البنية الذي وظفه الناقد، وهي بنية جديدة تختلف عن بنية غولدمان، لذا فالأمر يستدعي نقاشا نقديا.

سنبدأ النقاش بالنظر في مصطلح البنية في البنيويتين: (الشكلانية، والتكوينية)، فالبنية عند الشكلانيين منغلقة على نفسها لا تنفتح على التاريخ ولا على المجتمع ولا على الذات أيضا، بخلاف ما نجد عند غولدمان الذي نقل البنية من طابعها السكوني لتصبح مرنة من أهم خصائصها التغيُّر أو "البراكسيس"[24] وبذلك فقد اكتسبت معنى آخر، فكيف يمكن تعويض مصطلح البنية عند غولدمان الذي يتسم بالمرونة والتغير، ببنية ثابتة منغلقة؟ إذ هناك اختلاف إبستيمولوجي (معرفي) بين البنية عند غولدمان والبنية عند الشكلانيين، أمّا فيما يتعلق باستثمار لحمداني مصطلح البنية عند باختين فنرى أنه لم يكن استثمارا موفقا فصحيح أنّ باختين أكد على وجود الصراع في البنية بخلاف الشكلانيين، غير أن كيفية حصول هذا الصراع تختلف، فمصدر الصراع في البنية عند غولدمان هو العالم الخارجي بمعنى أنّه صراع خارج البنية، في حين أنّ باختين يرى عكس ذلك، حيث يرى أنّ مصدر الصراع داخلي وليس خارجيا، ويظهر هذا في قوله: "إن كلّ تحدث واقعي، مهما يكن شكله، يحتوي دائما، وبكيفية واضحة تقريبا، على إشارة الاتفاق مع شيء ما أو رفضه فالسياقات ليست موضوعة جنبا إلى جنب فقط، كما لو كانت لا تبالي ببعضها البعض ولكنها توجد في وضع تفاعلي داخلي وتأثير متبادل وصراع حاد ومتواصل"[25]، فالصراع الإيديولوجي الخارج عن البنية في البنيوية التكوينية، أصبح "مُبنينا" مع باختين، وبالإضافة إلى هذا الأمر فإن مصطلح البنية عند الشكلانيين وحتى عند باختين هو ذو أساس معرفي لساني، بخلاف بنيوية غولدمان، وهذا يجعلنا نقول إنّ مصطلح البنية الذي وظفه لحمداني ليس دقيقا ولا يتناسب مع المصطلح الأصلي، حيث إنّه حرَّف المعنى الذي قصده غولدمان من البنية، ويبدو أنّ لحمداني نفسه لم يقتنع كثيرا به، إذ بعد ذلك عاد ووظف مصطلح البنيوية التكوينية في كتابيه: "النقد الروائي والإيديولوجيا" و"الفكر النقدي الأدبي المعاصر".

**3- جابر عصفور ومصطلح البنيوية التوليدية:**

*** إشكال تلقي المصطلح:**

تُعتبر دراسة جابر عصفور في كتابه: "نظريات معاصرة" من الدراسات المهمة التي تطرقت لمصطلح لوسيان غولدمان، وقد انفرد الناقد بتوظيفه البنيوية التوليدية، حيث يقول في هذا الصدد: "أما ترجمة البنيوية التوليدية فلا أعرف على سبيل التحديد الحاسم من سبق إليها"[26]، وقد اختار البنيوية التوليدية ولم يعتمد على مصطلحات أخرى تم توظيفها قبله مثل: (البنيوية التكوينية، والبنيوية الهيكلية الحركية، والبنيوية الدينامية...)، ويقول جابر عصفور: "البنيوية التوليدية هي الصياغة العربية التي استرحت إليها في ترجمة المصطلح الفرنسي الأصل Structuralisme Gènètique الذي يشير إلى المنهج الذي صاغه الفيلسوف والناقد الأدبي، الفرنسي الجنسية الروماني الأصل، لوسيان غولدمان"[27]، وقد وضّح الناقد الدافع الذي جعله يختار هذا المصطلح في قوله: "والواقع أنّ مبدأ التولُّد مبدأ أساسي حاسم في منهج غولدمان كله، الأمر الذي جعلني أوثر ترجمة البنيوية التوليدية على الاجتهادات المقابلة في الترجمة من مثل ترجمة (الهيكلية الحركية والبنيوية التكوينية والبنيوية التركيبية)"[28].

إنّ البنيوية التوليدية التي اقترحها جابر عصفور تتطلب إعادة نظر نقدية وتجعلنا نطرح أسئلة من قَبيل: هل تلقي جابر عصفور للمصطلح الفرنسي كان تلقيا مطابقا أم إنه حرّف معناه الأصلي؟ ألا يشير مصطلح التوليد إلى النشأة والولادة بَدَل الدلالية التي يعنيها المصطلح الفرنسي Gènètique؟ ألا يطرح مصطلح التوليد إشكال الترجمة الحرفية المباشرة؟ ولمناقشة هذه الأسئلة سنحاول أن نحلل تصورات الناقد حول (التوليد) الذي هو مناط اهتمامنا؛ لكونه يطرح إشكالات دلالية بالمقارنة مع مصطلح البنيوية.

يرى عصفور أنّ مصطلح التكوين هو الأقرب إلى المصطلح الأجنبي Gènètique من كلمة (التركيبية)، غير أنه، وفي الوقت نفسه، يعتقد أنّ "صفة تكوينية تظل مرتبطة بالمعاني العامة للنشوء وسفر التكوين Genesis الذي هو أول أسفار الكتاب المقدس، لأنه السفر الذي يتحدث عن تكوين العالم وخلقه من العدم، فقبل التكوين كان هناك فضاء

مترام لا متناه. وسفر التكوين هو سفر الانتقال من العدم إلى الحياة، ومن عالم الجماد إلى عالم الأحياء. وتلك دلالة بعيدة في ترابطاتها الدينية عن أداء المعنى المادي لفعل التولد الطبقي الاجتماعي الذي تُشير إليه الدلالة الاصطلاحية لمنهج جولدمان"[29]، ويرى الناقد أنّ التكوين يدلّ على النشأة والولادة أو بشكل أدق يدلّ على الخلق، وهذا ما أدى إلى استبعاده وعدم توظيفه؛ لأنه لا يؤدي نفس المعنى الذي قصده غولدمان. لقد انطلق الناقد من المعنى المباشر للتكوين، في حين أن الأمر هو بخلاف ذلك، فالتكوين يعني الدلالة وليس النشأة أو الخلق، حيث إن ارتباط البنية الداخلية بالبنى الاجتماعية والتاريخية يجعلها تكتسب المعنى، فقد رأى غولدمان أن البنية في البنيوية الشكلانية فقدت معناها وأصبحت مجردة ومنغلقة على نفسها، إذ انتزعت من عالمها الاجتماعي، وبذلك أصبحت البنية لا تحمل أي دلالة أو وظيفة مما أدى إلى اقتراح غولدمان مصطلح التكوين الذي هو المسؤول عن منح البنية معناها، لذا فقد فَهِم جابر عصفور التكوين فهما ناقصا حين اعتقد أنّ صفة التكوينية مرتبطة بالنشأة، إنّ السؤال الذي نطرحه هنا هو، ألم يتناقض الناقد عندما رفض التكوين لدلالته على النشأة لكن، وفي الوقت نفسه، اعتمد مصطلح التوليد؟

إنّ التوليد ينزع إلى الولادة والخلق فهو الأقرب دلالة على النشأة من التكوين، وبذلك فإنّ البديل الذي اقترحه جابر عصفور لا يمكن اعتباره مطابقا للمعنى الأصلي، أي إنه لا يتطابق مع ما قصده غولدمان، فالتوليد في اللغة العربية بعيد كلّ البعد عن المعنى الأصلي لمصطلح غولدمان، ونحن نرى أن سبب هذا التناقض في المعنى بين مصطلحي: (التوليد و Gènètique) راجع إلى طريقة تلقي الناقد جابر عصفور، حيث إنه لم يأخذ بنظر الاعتبار أنّ مصطلح غولدمان يتخذ معنى خاصا ويُعبّر تعبيرا دقيقا عن النظرية، فهو ليس مصطلحا عاما، بل إنه خاص بنظرية محددة، لذلك لا يمكن أن نقابله بأيّ مصطلح كيف ما كان، وإذا عدنا إلى الطريقة التي تلقى بها جابر عصفور المصطلح الفرنسي نجد أنه لم يربطه بالنظرية البنيوية التكوينية ولم ينتبه إلى معناه الخاص، وهذا السلوك النقدي لا يؤدي في نظرنا، إلى فهم دقيق للمصطلحات الغربية التي يتلقاها النقاد العرب ويشتغلون بها في

دراساتهم، وبالإضافة إلى هذا الإشكال فإن الناقد قام بترجمة حرفية للمصطلح الفرنسي، إذ وقف عند معناه السطحي المباشر ولم يُترجم دلالته الباطنية التي ترتبط بعمق النظرية، ومن شأن هذا أن يؤدي إلى انحراف المصطلح العربي (التوليد) عن الدلالة الأصلية لـ Gènètique.

من الأسباب التي أدّت إلى عدم تطابق التوليد مع الأصل اعتماد جابر عصفور، في قراءته لكتب غولدمان، على الترجمة الإنجليزية وليس على اللغة الأصلية، أي اللغة الفرنسية فالترجمة لا تحافظ على التصورات والأفكار كما هي في الأصل، بل تقوم بتأويلها وشرحها مما قد ينتج عنها نص ثان يختلف عن النص الأول، وقد عرض الناقد لبعض الترجمات الإنجليزية لكتب غولدمان، مثل ترجمة "هايدن وايت" و"روبرت أنكور" لكتاب "العلوم الإنسانية والفلسفة"، وكذلك ترجمة "فيليب ثودي" لكتاب "الإله الخفي"[30]، في حين أنّه لم يذكر أي مصدر فرنسي لغولدمان وهذا إشكال حقيقي من شأنه أن ينتج عنه عدم الفهم الصحيح للمصطلح الأصلي، وكذلك تناقض المصطلح العربي مع المصطلح الفرنسي، وعليه يمكن أن نقول إن التوليد ينطوي على دلالات مختلفة لا تتوافق مع الأصل، حيث كان يجب على جابر عصفور أن ينتبه إلى أن المصطلحات تختلف دلالاتها من لغة إلى أخرى لذا كان من الأفضل القيام بحفر في دلالة مصطلح التوليد في اللغة العربية، وهذا ما لم يقم به الناقد الذي كان اهتمامه منصبا على إيجاد مقابل عربي للمصطلح الأجنبي فقط، لكنه أغفل مسألة مهمة وهي الدلالة الأصلية للمصطلح العربي، فلترجمة أيّ مصطلح غربي، في نظرنا، يجب أولا: فهم هذا المصطلح في أصله وفي ارتباطه بالنظرية، وثانيا: البحث عن معاني ودلالات المصطلح العربي الذي سيكون مقابلا للأصل حتى لا يتم تحريف المعنى المقصود والخروج عنه.

وهذه هي أهم الإشكالات التي يطرحها مصطلح البنيوية التوليدية عند جابر عصفور.

**خاتمة:**

لقد طرح تلقي مصطلح البنيوية التكوينية عند كلٍّ من: (جمال شحيد، وحميد لحمداني، وجابر عصفور) إشكالات عديدة أهمها: أولا: عدم الاستيعاب والفهم الدقيق للمصطلح في أصله الغربي، مما نتج عنه توظيف مصطلحات عربية مختلفة بين النقاد الثلاثة بل وحتى عند كل ناقد على حدة، وثانيا: اختلاف وتناقض المصطلحات العربية مع المصطلح الفرنسي من حيث الدلالةُ، فمصطلح التوليد الذي وظفه جابر عصفور أدّى إلى تحريف المعنى الأصلي، حيث إنّ التوليد في اللغة العربية يدلّ على النشأة والولادة بشكل أساسي وعليه فإنّ هذه الدلالة لا تتوافق مع ما قصده غولدمان، كما أنّ محاولة لحمداني ابتكار بنية جديدة من خلال استثمار البنيوية الشكلانية وبنيوية باختين لم تكن موفقة، حيث إنّه خرج عن المعنى الأصلي الذي وضعه غولدمان لـ Structuralisme، أما جمال شحيد فقد مزج بين التكوين والتوليد، مما جعله يسقط في تناقض دلالي، إذ يرى أن مصطلح Gènètique لا يعني النشأة، لكنه بالمقابل وظّف مصطلح التوليد وجعله مرادفا للتكوين.

إن سبب هذه الفوضى الاصطلاحية هو عدم التلقي الدقيق للمصطلح الفرنسي وهناك سبب آخر هو اشتغال كل ناقد بمفرده بدل الاشتغال ضمن فرقة واحدة، ولتجاوز إشكال تلقي المصطلحات الغربية بصفة عامة، وكذلك إشكال التعدد الاصطلاحي، يجب العمل بشكل جماعي من أجل الوصول إلى فهم صحيح ومطابق للأصل، ثم الاتفاق على مصطلح عربي موحد يؤدي نفس المعنى المقصود من المصطلح الأجنبي.

## الهوامش والإحالات:

(1)– عبد الرحمن التمارة، نقد النقد: بين التصور المنهجي والإنجاز النصي، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2017م، ص: 19.

(2)– جمال شحيد، في البنيوية التكوينية، مجلة المعرفة، مج38، العددان 225–226، 1980م، ص: 25.

(3)– جمال شحيد، في البنيوية التركيبية: دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

(4)– كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة: نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1986م، ص: 694.

(5)– جمال شحيد، في البنيوية التركيبية، ص: 80.

(6)– لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ترجمة جماعية، مراجعة الترجمة، محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984م، ص: 46.

(7)– لوسيان غولدمان، العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة يوسف الأنطكي، مراجعة الترجمة، محمد برادة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1996م، ص: 14.

(8)– جمال شحيد، في البنيوية التركيبية، ص: 76.

(9)– نفسه، ص: 81.

(10)– أنظر، لوسيان غولدمان، الإله الخفي: الفصل الأول: (الكل والأجزاء)، ترجمة زبيدة القاضي، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2010م، ص: 39 – 40.

(11)– جمال شحيد، في البنيوية التركيبية، ص: 77.

(12)– نفسه، ص: 77.

(13)– نفسه، ص: 77 – 78.

(14)– لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ص: 42.

(15)– نفسه، ص: 42.

(16)– يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2008م، ص: 149.

(17)– حميد لحمداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي: دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م، ص: 11.

(18)– حميد لحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا: من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990م، ص: 61.

(19)– حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر: مناهج ونظريات ومواقف، مطبعة أنفو برانت فاس، المغرب، ط3، 2014م، ص: 70.

(20)– مبارك أزارا، روافد التحليل في النقد الأدبي الحديث بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب، ط1، 2014م، ص: 132.

(21)– حميد لحمداني، من أجل تحليل سوسيو بنائي للرواية: رواية المعلم علي نموذجا، منشورات الجامعة الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1984م، ص: 12.

(22)– نفسه، ص: 12.

(23)– نفسه، ص: 16.

(24)– لوسيان غولدمان، العلوم الإنسانية والفلسفة، ص: 13.

(25)– ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة، محمد البكري ويمنى العيد، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996م، ص: 107.

(26)– جابر عصفور، نظريات معاصرة، دار المدى للثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1998م، ص: 84.

(27)– نفسه، ص: 83.

(28)– نفسه، ص: 83.

(29)– نفسه، ص: 86.

(30)– نفسه، ص: 92.